عرض لخرائط وأشكال الأطلس التاريخ للدولة السعوديّة

د . طه عثمان الفرا

مقدمة :

لقد قيل فى الماضى إن التاريخ هو جغرافية كل زمان وان الجغرافيا هى تاريخ لكل مكان . وان صح هذا القول فان « الأطلس التاريخى للدولة السعودية » الذى الذى صدر عن دارة الملك عبدالعزيز قبل عدة سنوات يؤكد مصداقية هذا القول . هذا الاطلس وضع مادته التاريخية ، وخطط رسومه وأشكاله ، المرحوم الدكتور / ابراهيم جمعة بتكليف من معالى الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالى ورئيس مجلس ادارة دارة الملك عبدالعزيز ، وهو يعالج كلًا من الجانبين التاريخى والجغرافى لنشأة الدولة السعودية وتطورها

واستقرارها منذ نشأتها سنة ١٧٤٥م ، على يد الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب ، عبر أدوارها الثلاثة ، حتى وقتنا الحاضر . لقد وضحت أشكال الاطلس كثيرا من الحقائق الجغرافية المهمة مثل منطقة النواة Core-area التى نشأت بها وانطلقت منها الدولة السعودية باسطة سلطانها فى كل اتجاه ، وبعض مسارح المعارك المهمة مثل موقعة الصريف ومسيرة المغفور له الملك عبدالعزيز ورجاله صوب الرياض لاسترجاعها من آل رشيد سنة ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) . ويبدو ان الاطلس فى مجمله قد ابتنفد كثيرا من الوقت والجهد فى اعداده الى ان ظهر فى هذه الصورة الجيدة . وعلى الرغم من ان كاتب هذا العرض قد اطلع على المادة العلمية التى احتوتها دفتا الأطلس وقرأها بإمعان فلن يتعرض هنا الى تلك المادة نظرا لوجود الكثير من الأخوة المتخصصين فى هذا المضمار من سعوديين وغيرهم ممن هم أقدر منه فى هذا التخصص . ومن هذا المنطلق فان هذا العرض سوف يكون مقتصرا على استعراض ودراسة للخرائط والاشكال ، التى تضمنها الاطلس من الناحية الكارتوغرافية .

ولقد جاءت هذه الخرائط والاشكال على هيئة لوحات عددها تسع وثلاثون . وسوف نستعرض خرائط واشكال الاطلس المذكور وأشكاله فى ظل كل من العناوين الآتية :

أولا : الخريطة الأساسية .
ثانيا : مقياس الرسم .
ثالثا : الاتجاهات .
رابعا : المسميات .
خامسا : مفتاح الخريطة .

أولا ـ الخريطة الأساسية

من المعروف أنه عند رسم مجموعة من الخرائط لإقليم واحد أو منطقة معلومة ، لكى تكون ضمن اطلس أو من أجل استعمالها كل على حدة فانه لابد من رسم خريطة واحدة لذلك الاقليم او تلك المنطقة تحدد فيها المعالم الرئيسية ، مثل الحدود السياسية ، والسواحل البحرية ومجارى الانهار المهمة وتعرف هذه الخريطة باسم « الخريطة الاساسية » ، وتكون تلك الخريطة فى غاية من الدقة ثم تطبع نسخ منها طبق الاصل لكى توقع على كل منها فيما بعد المعلومات المطلوبة فى ظل عنوان وأهداف الخريطة التى رسمت من اجله وأهدافها ، ويراعى عند رسم الخريطة الاساسية ضرورة احتوائها اهم متطلبات الخريطة الاساسية مثل مقياس الرسم والاتجاهات ، ومن اهم فوائد دقة توقيع المعالم الرئيسية فى هذه الخريطة تسهيل عملية الموازنة بين الخرائط المتشابهة من حيث توزيع الظاهرات الطبيعية او البشرية الموضحة على كل منها .

ومن الملاحظ ان الخرائط المتشابهة من حيث مقياس الرسم والاتجاهات والشكل والحجم التى رسمت فى هذا الاطلس ليس بين معالمها الرئيسية تطابق تام . وهذا يعنى ان كلا من تلك الخرائط قد رسمت على حدة وبذلك ظهر اختلاف ملموس بينها . وعلى سبيل المثال نجد الخريطة رقم (٢) توضح عددا كبيرا من الجزر بالقرب من السواحل الشرقية والجنوبية والغربية من شبه جزيرة العرب وتبرز أعالى نهر النيل ولا توضح بعض الاهوار فى بلاد الرافدين فى حين ان الخريطة رقم (٣٨) تختلف فى تعرجات سواحلها عن الخريطة السابقة وتظهر بالقرب من تلك السواحل كمية محدودة من الجزر ، كما أنها تبرز احد الاهوار العراقية المهمة بلون ازرق مميز ، ولا تظهر اعالى نهر النيل مطلقا ، بالاضافة الى ذلك فان الخريطتين قد اوردتا اسم المحيط الهندى فى غير موضعه .

أما بخصوص الخريطتين رقم (٣) ، (١٣) فانه كان من الاولى ايضا ان ترسم كل منهما طبقا لخريطة أساسية واحدة . ولكن ذلك لم يحدث فظهر تباين واضح بينهما شمل الظاهرات الطبيعية والبشرية ، أما بالنسبة للمسميات فإننا نجد ان الخريطة الاولى وضعت مسميات كل من الخليج العربى وخليج عمان وأغفلت ذكر أوروبا فى حين أن الخريطة الأخرى قد أغفلت تسمية كل من الخليجين السابقين وأبرزت اسم القارة الأوروبية .

ثانيا ـ مقياس الرسم

يبدو أن كل خرائط الاطلس قد أغفلت تماما وضع مقياس رسم خطى او عددى ما عدا الخريطة الاولى التى احتوت على مقياس رسم عدد وهو ١ : ٨,٠٠٠,٠٠٠ بل ان وجود هذا المقياس لا يفيد القارىء او الباحث كثيرا فى حالة رغبته تصغير او تكبير الخريطة ذاتها ، او معرفة مسافة ما ولو على وجه التقريب على الخريطة بين ظاهرتين او نقطتين معلومتين وما يقابل تلك المسافة على الطبيعية .

ثالثا ـ الاتجاهات

يعد توضيح الاتجاهات على اية خريطة احد أساسيات كل خريطة . وتوضح الاتجاهات عادة بواسطة خطوط الطول التى تبرز الشمال والجنوب ودوائر العرض التى توضح الشرق والغرب على الخرائط ذات مقياس الرسم الصغير ، أما الاتجاهات على الخرائط ذات مقياس الرسم الكبير فانها فى العادة توضح طبقا لسهم الشمال لكل منها ، والخرائط الموجودة فى الاطلس الذى هو قيد العرض ذات مقاييس رسم مختلفة ولكنها تخلو تماما من خطوط الطول ودوائر العرض ، واسهم الشمال . ويستثنى من ذلك ثلاث خرائط فقط وهى رقم (١) ، (٣٧) ، (٣٩) ، التى وضعت عليها خطوط الطول ودوائر العرض ، واللوحة رقم (٢٥) التى ظهر عليها سهم الشمال .

رابعا ـ المسميات

تشمل المسميات عادة عناوين الخرائط واسماء الاماكن والظواهر المختلفة ويلاحظ ان هذا الاطلس قد اشار الى الاشكال على انها عبارة عن خرائط ولوحات واعطاها جميعا رقما مسلسلا موحدا . لقد كان من الواجب ان تعطى اللوحات والخرائط مسمى واحدا وهو « شكل » مع تسلسل ارقامها بدءا من الشكل الأول حتى الشكل الأخير فى الاطلس .

ويحتوى الاطلس على مجموعة لا بأس بها من الخرائط التى لم يوضح فيها عنوان كل منها ، ومن أمثلة ذلك الخريطة رقم (٢٠) ، والخريطة رقم (٣٠) . اما بالنسبة الى الخريطة رقم (٣٩) فانه نظرا لانها مكونة من خريطتين مستقلتين لكل منهما عنوان مستقل فانه كان من الأجدر ان تأخذ كل منهما رقما مستقلا .

أما فيما يختص باسماء الاماكن والاقاليم فان كثيرا من خرائط الاطلس قد أغفلت بعض مسمياتها الهامة . ومن أهم الامثلة على تلك الخرائط الخريطة رقم (١) التى ابرزت مسميات الوحدات السياسية التى تحيط بالمملكة العربية السعودية وأغفلت تماما اسم « المملكة العربية السعودية » . اما عن مسميات بعض الظواهر الطبيعية البارزة مثل صحراء النفود والدهناء فلقد اختفت من كثير من الخرائط مثل الخريطة رقم (١) والخريطتين رقم (٢) ، (٨) على التوالى .

ويلاحظ كذلك ان اسماء كثير من الاودية والسبخات والملاحات او الحافات الصخرية لم تذكر اطلاقا على الخرائط . ومن اوضح الامثلة على ذلك الخريطة رقم (٧) ، (١٩) ، (٢٠) واللوحة رقم (٢٥) .

ويلاحظ كذلك فى الخريطة رقم (٧) وجود نقط مناسيب تمثل ارتفاعات هذه النقط بالنسبة الى سطح البحر على هيئة ارقلم . والجدير بالذكر ان هذه الارقلم قد وضعت دون تحديد لمواقع هذه النقط . أضف الى ذلك ان الارقلم الموضحة لا تبين وحدة القياس المستخدم لتوضيح تلك الارتفاعات هل هى بالأقدام او الأمتار او غير ذلك ؟

أما فيما يتعلق بالظواهر البشرية فانه يمكن الاشارة الى الخريطة رقم (٤) كمثال لوجود بعضها فى تلك الخريطة . وتتمثل احدى هذه بالظواهر فى الدوائر الزرقاء المفرغة التى تمثل آبار وموارد المياه ولم تذكر اسماؤها . بالاضافة الى ذلك فانه يمكن الاستشهاد بظاهرة بشرية أخرى وهى الدولة الأفغانية التى وضعت على الخريطة رقم (١٣) وكأنها دولة ساحلية فى حين انها فى الحقيقة دولة داخلية .

وهناك بعض المسميات التى تستوجب التأكد منها تبيا للفترة التى تمثلها الخريطة . ومن الأمثلة على ذلك خريطة رقم (٣) التى توضح البحر المتوسط باسمه الحالى علما بأنه من المفروض ان يحمل

ذلك البحر اسم « بحر الرم » .

خامسا ـ مفتاح الخريطة

لقد خلت معظم خرائط الأطلس من مفاتيحها . وحتى تلك الخرائط التى وضعت لها مفاتيح مثل الخريطة رقم (١) ، (٤) ، (٦) كانت مفاتيحها مبهمة وتربك القارىء اكثر من أن توجهه وتهديه . وعلى سبيل المثال لا الحصر فان مفتاح الخريطة الأولى من الأطلس يوضح أعماق المسطحات المائية والارتفاعات فوق سطح البحر بصورة غير صحيحة ، وتظهر على ذلك المفتاح الوان ثلاثة متشابهة تماما تأخذ اللون الأزرق يمثل احدها عمق ٢٠٠ متر تحت سطح البحر ، ٢٠٠٠ متر تحت سطح البحر أيضا ، فى حين ان ثالثها يوضح الأراضى الواقعة على ارتفاع ٣٠٠٠ متر او أكثر فوق سطح البحر . والجدير بالذكر ان خطوط الأعماق والألوان المتعارف عليها للمناطق الواقعة بينها وبين الساحل من جهة وبين بعضها وبعض من جهة أخرى لا وجود لها أبدا على الخريطة . ومن المعروف ان هذه الألوان تتدرج فى ألوانها بين اللون الفاتح الذى يمثل المياه الضحلة واللون الأزرق الغامق الذى يوضح اكثر الأغوار عمقا . وهذا يعنى ان مفتاح الخريطة لا يمثل واقعها ولا يحقق الاغراض والأهداف التى رسمت من اجلها .

بالاضافة الى الملاحظات السابقة فانه يمكن القول أن بعض الاشكال أبرزت عددا لابأس به من الظاهرات الطبيعية مثل سلسلة جبال طويق وبيض الحافات الصخرية والخلجان ولكن تلك الظاهرات رسمت بصورة غير دقيقة بحيث وضح تباين بين الظاهرة الواحدة فى خريطتين مختلفين أو أكثر . ومن ابرز الامثلة على ذلك خريطة رقم (٩) التى وضحت فيها حافة طويق فى المنطقة الواقعة جنوب غرب مدينة السلسل وكأنها جزء متصل متجاهلة تماما وادى الدواسر الذى يخترقها متجها إلى الشرق صوب أطراف صحراء الربع الخالى . ولقد بدت هذه الحافة فى الخريطة رقم (٣٢) مطابقة للواقع على الطبيعة .

وعلى الرغم من أن هذا الاطلس قد احتوى على « فهرس المواقع على الخرائط » فانه لم يحتو على ذلك الفهرس الذى لايستغنى عنه القراء والباحثون .

* * *

خاتمة

إن هذا الاطلس احدى المحاولات الجادة التى أكدت الترابط والتلاحم بين التاريخ والجغرافيا . ولقد أبرز هذا الاطلس منطقة النواة التى نشأت فيها الدولة السعودية ومنها انتشرت فى كل اتجاه الى أن وصلت الى حدودها الحالية والاماكن التى وصلت اليها فى عهودها الزاهرة . ولاشك أن دولة ناهضة مثل المملكة العربية السعودية يلزمها المزيد من مثل هذه الدراسة الا انه من المستحسن أن يقوم بمثل هذا العمل فريق من المتخصصين فى مجالات مختلفة لكى يعم النفع وتحقق الفائدة العلمية .

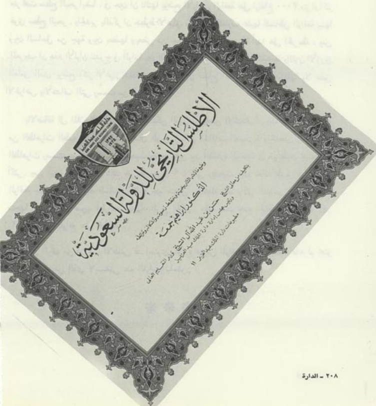

الأطلس التاريخي للدولة السعودية

الدكتور ابراهيم جمعة

بتكليف من معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي
ورئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز

مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ١١